ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا
الا كتب لهم به عمل صالح وفي قوله تعالى ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما
مسني السوء دلالة ظاهرة على ان التقدير ليس بلازم فانه لو كان نصيب كل شخص من
الخير والشر مقدرا بحيث لا يحتمل الزيادة والنقصان لما كان للتعليق المذكور وجه صحة
وتفصيل ذلك انه لو كان للتقدير تاثير بجعل المقدر على حد معين خيرا كان او شرا
حتما مقضيا لم يكن بد من حصول المقدر لمن قدر له نفعا كان او ضرا ووصوله اليه
مكروها كان او مرضيا فيلزم من ذلك ان لا يكون لقدرة العبد واختياره مدخل
في جلب نفعه ودفع ضره عالما كان باسبابها او جاهلا واللازم منتف بما دل
عليه النص المذكور من تفاوت الحال بالعلم والجهل لا يقال يجوز ان يكون العلم بالاسباب
من الشرائط التي لا بد من عدمها في حصول ما قدر له من الخير والشر على حد معين
لانا نقول على تقدير كل شيء لا بد من حصول العلم بالاسباب له او عدم حصوله له فيعود الالزام
قطعا ومما يدل على ما تقدم من التفصيل دلالة لا تقبل الرد ولا التاويل ما روى
الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي عم لما اغرق الله فرعون قال
امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين قال جبرائيل عم فلو رايتني
يا محمد وانا اخذ من حال البحر فاسنه في فيه مخافة ان تدركه الرحمة وقال ابو عيسى هذا
حديث حسن وفي التفسير روى عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي عليه السلام انه قال لما قال
فرعون لا اله الا الله انا جبريل فحشا فاه التراب خشية ان تدركه رحمة الله تعالى ووجه
الاستدلال انه لا يخلو من ان يكون للكائنات قبل حدوثها تقدير لا يقبل التغير او لا يكون
وعلى الاول لا يخلو من ان يكون ما يلزم ذلك لزوما بينا وهو ان يكون الكد في الرد والدفع
نفعا معلوما لجبرائيل عم او لا يكون والثاني بين البطلان وكذا الاول اذ لا يليق بشان
عاقل فضلا من شانه عدم العمل الموجب علمه خصوصا في مثل هذا المقام فتعين

الثالث فتم المرام قوله لعلك ظننت قضاء حتما لازما الى اخره يعضده ما روى في المصابيح عن
انس رضي الله عنه انه قال كان رسول الله عليه السلام يكثر ان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي
على دينك فقلت يا نبي الله امنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم ان القلوب بين اصبعين
من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء فان قلت اليس الحذر لا يغني من القدر كما ورد في الحديث النبوي
قلت نعم ومع ذلك لا بد من الحذر ولذلك قال عم فر عن المجذوم فرارك عن الاسد وقد نهى
في كتاب الله تعالى عن القاء النفس في التهلكة وفي الفتاوى الظهيرية رجل كان في بيته
فاخذته الزلزلة لا يكره له الفرار الى الفضاء بل يستحب لفرار النبي عم عن الحائط المائل
وذكر في الفائق انه عليه السلام مر بحائط مائل فاسرع في المشي فقيل يا رسول الله اسرعت
بالمشي فقال اخاف من موت الفوات اي موت الفجاءة والسر في ان الحذر لا يغني من القدر
ان القدر على ما قرر فيما سبق على وفق الواقع فكل ما يقع فهو المقدر فلا مجال للتبدل
ولا احتمال للتحول والى هذا يشير في جوابه عليه السلام بقوله فراري من قضاء الله حين
قيل له اتفر من قضاء الله ولقد احسن من قال على وفق الاشارة الواردة فيما ذكر من الخبر
عن خير البشر الحذر لا ينفع من القدر بل يدفع البشر الى المقدر من الخير والشر وفي جامع الحكيم
الترمذي مرفوعا اذا قضى الله لعبد ان يموت بارض جعل له اليها حاجة وفي الكشاف
روى ان ملك الموت مر على سليمان عم فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا
قال ملك الموت قال كانه يريدني فسال سليمان عم ان يحمله على الريح ويلقيه ببلاد
الهند ففعل ثم قال الملك لسليمان عم كان دوام نظري اليه تعجبا منه لاني امرت ان اقبض
روحه بالهند وهو عندك من هنا ظهر ان تعليل الامام البيضاوي بالحديث حيث قال
في تفسير قوله تعالى وما اغني عنكم من الله من شيء مما قضى عليكم بما اشرت به اليكم
فان الحذر لا يمنع القدر لم يصيب المحترز وبني تفسيره على ان يكون ما قضى حتما لازما
وقد مر فساد ذلك المبنى فالوجه في تفسير تلك الاية ما ذكر في التيسير اي

Copyright © King Saud University